الباب الثالث
حوادث فى الكعبة

الفصل الأول: حوادث قبل البعثة

مكة والمدينة من خير مدن الأرض شرفاً وعزاً لذلك نجد فى أن قبور كثيرين من الأنبياء بها وقد ذكر فى كتب تاريخ العرب أنهم أصابهم قحط شديد سنين وأن هوداً فارقهم فخرج إلى مكة ومات بها وقد قيل إنه دفن فى الحجر حول الكعبة قال القرطبى حج اسحاق وسارة من الشام وكان إبراهيم عليه السلام يحجه كل سنة على البراق وحجته بعد ذلك الأنبياء والأمم وروى محمد بن سباط عن النبى ρ أنه قال :- كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق مكة فتعبد بها هو ومن آمن معه حتى يموتوا فمات بها نوح وهود وصالح وقبورهم بين زمزم والحجر وذكر ابن وهب أن شعيباً مات بمكة هو ومن معه من المؤمنين فقبورهم في غربي مكة[1] بين دار الندوة وبين بني سهم وقال ابن عباس : في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر إسماعيل وقبر شعيب عليهما السلام فقبر إسماعيل في الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود وقال عبد الله بن ضمرة السلولي : ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبيا جاؤوا حجاجافقبروا هناك .

1) تفسير القرطبي جزء 2 - ص 125

نوح يصنع سفينته في الكعبة :

ذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له عن الحسن : أن نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فذلك قوله تعالى { ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً } وكان قد : كثرت فيهم المعاصي وكثرت الجبابرة وعتوا عتواً كبيراً وكان نوح يدعوهم ليلاً ونهاراً سراً وعلانية وكان صبوراً حليماً ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك وقد أوشك على الموت ويضربونه في المجالس ويطرد وكان لا يدعو على من يصنع به بل يدعوهم ويقول : (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه حتى أنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل أصبعيه في أذنيه لكيلا يسمع شيئا من كلامه وفذلك قوله تعالى :{ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم } وقال مجاهد وعبيد بن عمير : كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال : (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وقال ابن عباس : إن نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى إذا يئس من إيمان قومه جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا فقال : يا بني انظر هذا الشيخ لا يغرنك قال : يا أبت أمكني من العصا فأمكنه فأخذ العصا ثم قال : ضعني في الأرض فوضعه فمشى إليه بالعصا فضربه فشجه شجة موضحة في رأسه وسالت الدماء فقال نوح : (رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فإن يك لك في عبادك خيرية فاهدهم وإن يك غير ذلك

فصبرني إلى أن تحكم وأنت خير الحاكمين) فأوحى الله إليه وآيسه من إيمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء مؤمن قال : {وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون } أي لا تحزن عليهم { واصنع الفلك بأعيننا ووحينا } قال : يا رب وأين الخشب ؟ قال : اغرس الشجر قال : فغرس الساج عشرين سنة وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون منه فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال : يارب كيف أتخذ هذا البيت ؟ قال : اجعله على ثلاثة صور رأسه كرأس الديك وجؤجؤه كجؤجؤ الطير وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعل لها أبوابا في جنبها وشدها بدسر يعني مسامير الحديد وبعث الله جبريل فعلمه صنعة السفينة وجعلت يده لا تخطيء قال ابن عباس : كانت دار نوح عليه السلام دمشق وأنشأ سفينته من خشب لبنان بين زمزم وبين الركن والمقام فلما كملت حمل فيها السباع والدواب في الباب الأول وجعل الوحش والطير في الباب الثاني وأطبق عليهما وجعل أولاد آدم أربعين رجلا وأربعين امرأة في الباب الأعلى وأطبق عليهم وجعل الذر معه في الباب الأعلى لضعفها ألا تطأها الدواب.

قال الزهري : إن الله عز وجل بعث ريحا فحمل إليه من كل زوجين اثنين من السباع والطير والوحش والبهائم وقال جعفر بن محمد : بعث الله جبريل فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الزوجين فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيدخله السفينة .

نذور بالذبح :

ولأن الكعبة لصيقة الصلة بالإسلام فلا ينفصم تاريخها عن تاريخ الإسلام ونبى الإسلام لذلك نورد طرفاً عن قصة الذبيح الثانى أبو النبى محمد (ص)

نذر ابراهيم ذبح اسماعيل :

كان إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا السلام قد رأى رؤيا أنه يذبح وحيده إسماعيل ولا محل هنا للقول بانه اسحق فقال لاسماعيل يا بنى إنى أرى فى المنام إنى اذبحك فأجاب الابن البار افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من الصابرين وعندما أراد إنفاذ أمر الحق تبارك وتعالى فداه المولى جل وعلا بذبح عظيم والقصة موجودة فى سورة الصافات .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أراد إبراهيم عليه السلام أن يذبح إسحاق قال لأبيه إذا ذبحتني فاعتزل لا أضطرب فينتضح عليك دمي فشده فلما أخذ الشفرة وأراد أن يذبحه نودي من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا.

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ثم أتى به الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع فساخ فلما أراد إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام قال لأبيه : يا أبت أوثقني لا

أضطرب ينتضح عليك دمي إذا ذبحتني فشده فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه نودي من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا .

وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن من شيعته لإبراهيم قال : من شيعة نوح على منهاجه وسننه ،بلغ معه السعي، شب حتى بلغ سعيه ،سعي إبراهيم في العمل فلما أسلما سلما ما أمرا به وتله وضع وجهه للأرض فقال : لا تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تجهز علي وأن أجزع فأنكص فأمتنع منك ولكن أربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي إلى الأرض فلما أدخل يده ليذبحه فلم تصل المدية حتى نودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده فذلك قوله وفديناه بذبح عظيم بكبش عظيم متقبل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) رؤيا الأنبياء وحي .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال : رؤيا الأنبياء وحي . [1]

أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة

من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم فيه وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الإتيان بالمأمور به ترتيب مقدماته وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً، فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء جواب لما محذوف إيذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله وإظهار فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم الى غير ذلك إنا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل إن هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة إذ لا شئ أصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم أي عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لأنه يفدى به الله نبيا ابن نبي من نسله سيد المرسلين .

قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير.

---

1) الدر المنثور جزء 7 - ص 104

وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام - أى الكبش- عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة في الرمى وروى انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى في الحقيقة هو إبراهيم وإنما قيل وفديناه لأنه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح عليه السلام.

الذبيح الثانى:- عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن اسحاق :- كان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك فأطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة وهي الأزلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أوامر من الأمور جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان

أصغر ولده وأحبهم إليه فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا ما تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه لنن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه، فيقال إنه شج وجهه شجا لم يزل في وجهه إلى أن مات ،ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فاذبحه وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بخيبر فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الإبل وكانت كذلك قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عشراً عشراً

ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب فعندها زعموا أنه قال لا حتى اضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربوا ثلاثاً ويقع القدح فيها على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع زاد ابن هشام ويقال ولا سبع (1)

ذبيح آخر عند الكعبة :

روى ابن جرير أن ابن عباس سألته امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقف فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال إنهما لم يصيبا الفتيا ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل وأخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم.

إساف ونائلة

قال ابن إسحاق ذكر ان اساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجرين ثم قال حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمدبن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة

---

1) البداية والنهاية جزء 9 - ص 2

كانا رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله عز وجل حجرين والله أعلم وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما.

عقد الأحلاف في الكعبة :

قلت ـ والكلام لابن كثير- هذا لا شك فيه وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية والرفادة واللواء والندوة والحجابة ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديما ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبدالله بن جدعان كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبدالله عن محمد وعبدالرحمن ابني أبي بكر قالا قال رسول الله (ص) لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت [1]تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوما قالوا وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة وكان بعد

---

1)البداية والنهاية جزء 2 - صفحة 291

حرب الفجار بأربعة أشهر وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبدالمطلب وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب فأتوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه أي انتهروه فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته :-

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام لمن أثت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر[1]

فقام في ذلك الزبير بن عبدالمطلب وقال ما لهذا متروك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبدالله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا

---

1) مختصر سيرة الرسول جزء 1 - صفحة 18 و سيرة ابن هشام جزء1 ص 257 وسيرة ابن كثير جزء1ص263والتحرير والتنوير جزء 1 - صفحة 2772

واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة وما رسى ثبير وحراء مكنهما وعلى التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه وقال الزبير بن عبدالمطلب في ذلك:-

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وإن كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا يعزبه الغريب لذي الجوار

ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نمنع كل عار

فتاة مخطوفة

ذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال إن نبيها ظلمني في بنتي وانتزعها مني قسرا فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج إليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا سخب لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول :-

راح صحبي ولم أحيي القتولا لم أودعهم وداعا جميلاً

إذ أجد الفضول أن يمنعوها قد أراني ولا أخاف الفضولا

لا تخالي أني عشية راح الركب هنتم علي أن لا يزولا

ويروى ان رجل من أراش قدم بابل له مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فماطله بأثمانها وأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش و رسول الله (ص) جالس في ناحية المسجد فقال : يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام ؟ فإني غريب ابن سبيل وقد غلبني على قي وأنا غريب ابن سبيل فقال أهل المجلس : ترى ذلك الرجل - و هم يهزؤون به يشيرون إلى رسول الله (ص) لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - إذهب إليه فهو يعديك عليه، فاقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله (ص) فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي و أنا غريب ابن سبيل و قد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه رحمك الله فقال رسول الله (ص) انطلق إليه و قام معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع فخرج رسول الله (ص) حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا ؟ فقال محمد فاخرج إلي فخرج إليه و ما في وجهه رائحة وقد انتقع لونه فقال له أعط هذا الرجل حقه فقال : نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف رسول الله (ص) و قال للأراشي الحق شأنك فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرا لقد أخذ لي حقي وجاء الرجل الذي بعثوا معه

فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ فقال عجباً من العجب والله ما أن ضرب عليه بابه إلا وخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه قال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك ؟ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ثم خرجت إليه وإن فوق رأسي لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته و لا قصرته ولا أنيابه لفحل قط و الله لو أبيت لأكلني (1)

ميلاد فى جوف الكعبة :

يروى أن فاخته بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى زوجة أخا خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ولدت فى جوف الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة وذلك أنها دخلت تزور فضربها الطلق وهى فى الكعبة فوضعته على نطع وكان هذا المولود هو حكيم بن حزام بن خويلد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الاسدى .

وكان شديد المحبة لرسول الله (ص) ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب لا يبايعوا ولا يناكحوا كان حكيم يقبل بالعير يقدم من الشام فيشتريها بكمالها ثم يذهب بها فيضرب أدبارها حتى يلج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمة لرسول الله (ص) ولعمته خديجة بنت خويلد [1].

1) سيرة ابن اسحاق جزء 1 - ص 176 ودلائل النبوة للاصبهانى جزء 1 ص 196-197 0

الطواف بالكعبة فى الجاهلية:

كان العرب قبل البعثة يحجون البيت، ويعتمرون ويحرمون الأشهر الحرم فلا يغزون فيها ، ولا يقاتلون أحداً إلا بعض القبائل مثل طئ وخثعم وبعض بنى الحارث بن كعب ،وكان حجهم وتلبيتهم أشبه بحج وتلبية المسلمين فى بعض مناسك الحج كالترويه والطواف والافاضة والوقوف بعرفة ، إلا ان بعضهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا وكان طوافهم فيه صفير وصفق ، وكانت تلبيتهم غير تلبية الإسلام ،بل كان لكل قبيلة تلبية تلبى بها صنمها ، وكانوا يشركون فى تلبيتهم :-

- فكانت قريش ونسكها لأساف تقول :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

- ومن نسك للعزى يقول:- لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ما أحبنا إليك .

- ومن نسك للات يلبى فيقول :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك كفى بيتنا بنية ، ليس بمهجور ولا بلية ، لكنه من تربة زكية أربابه من صالحى البرية .

- وكانت تلبية من نسك لجهار يقول :- لبيك اللهم لبيك ، لبييك اجعل ذنوبنا جبار ، واهدنا لأوضح المنار ، ومتعنا وملنا بجهار.

---

1) البداية والنهاية جزء 6 - ص 160

- وكانت تلبية من نسك لسواع :- لبيك اللهم لبيك لبيك ، أبنا إليك ، ان سواع طلبن إليك .

- وكانت تلبية من نسك للشمس :- لبيك اللهم لبيك ، ما نهارنا بخره أولاجه وحره ، وقره لا تبقى شيئاً ولاتضرة حجاً لرب مستقيم بره ، وكانت تلبية من نسك لمحرور حجاً جقاً ، تعبداً ورقاً .

- وكانت تلبية من نسك لذى الخلصة :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك بما هو أحب إليك.

- وكانت تلبية من نسك لود :- لبيك اللهم لبيك معذرة إليك .

- وكانت تلبية من نسك لمنطيق :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك وكانت تلبية عك انهم إذا وصلوا الى مكة بعثوا غلامين أسودين أمامهم يسيران على جمل وهما عريانين ويقولا نحن غرابا عك فاذا ما قال الغلامان ذلك قال من وراءهما عك إليك عانية ، عبادك اليمانية ، كيما نحج الثانية على الشداد الناجية .

- وكانت تلبية من نسك لمناة :- لبيك اللهم لبيك لبيك لولا أن بكراً دونك ، يبرك الناس ويهجرونك مازال حج عنج يأتونك انا على عدوانهم دونك .

- وكانت تلبية من نسك لسعيدة لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، لم نأتك للمياحه ، ولا طلباً للرقاحة ، ولكن جئناك للنصاحه.

- وتلبية من نسك ليعوق :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، بغض إلينا الشر وحبب

إلينا الخير ، ولا تبطرنا فناشر ولا تقدحنا بعثار .

- وكانت تلبية من نسك لنسر :- لبيك اللهم لبيك ،لبيك ، إننا عبيد، وكلنا ميسرة عتيد ، زانت ربنا الحميد ، أردد إلينا ملكنا والصيد .

- وكانت تلبية من نسك ليغوث :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك احبنا بما لديك ، فنحن عبادك قد صرنا إليك .

- وكانت تلبية ذا اللبا :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك رب فاصرفن عنا مضر وسلمن لنا هذا السفر ، ان عما فيهم لمزدجر واكفنا اللهم ارباب هجر .

- وكانت تلبية من نسك لمرحب :- لبيك اللهم لبيك لبيك ،إننا لديك حبينا إليك .

- وكانت تلبية من نسك لذريح :- لبيك اللهم لبيك، لبيك كلنا كنود وكلنا نعمة وجحود ، فاكفنا كل حية رحود .

- وكانت تلبية من نسك ذا الكفين :- لبيك اللهم لبيك لبيك ان جرهما عبادك ، الناس طرف وهم تلادك ونحن أولى منهم بولاتك.

- وكنت تلبية من نسك لهبل :- لبيك اللهم لبيك لبيك ، اننا لقاح، حرمتنا على اسنة الرماح يحسدنا الناس على نجاح[1] وكان كثيرون منهم يتحنثون فى بعض الأغوار وأشهر غار هو غار حراء ولما أراد الحق ان يرسل نبيه بدأ المصطفى بالإنقطاع فى الغار تحنثًا كل عام شهراً إلى أن جاءه جبريل وبدأ الوحى كان رسول الله (ص) يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة

يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة [2]ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :-

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

بعد البعثة

خبر الصحيفة و إئتمار قريش بالرسول(ص) :

قال ابن إسحاق :- لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ،وأن عمر أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله (ص) وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً، يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ،ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على

---

1) المستدرك جزء 3 - ص 368 والبداية والنهاية جزء 3 - ص 44 2) سيرة ابن هشام جزء 2 - ص195وما بعدها وكذا فى البداية وعند الطبرى

أنفسهم ،وكان كاتب الصحيفة ، منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسول الله (ص) فشل بعض أصابعه وقال ابن إسحاق : فلما فعلت ذلك قريش ،إنحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه ،وإجتمعوا إليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فكان معهم وظاهرهم وبعد عمل الصحيفة قال أبو طالب قصيدته اللامية الشهيرة التي يقول فيها :-

كذبتم وبيت الله نبري محمدا ولما نقاتل دونـه ونناضـل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وما ترك قوم لا أبا لك سيدًا يحوط الذمار غير درب مواكل

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وكانت قريش قد علقت صحيفة المقاطعه في جوف الكعبة فسلط الله عليها الأرضة فأكلت ما فيها من أسماء الله لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور وقيل إنها أكلت ما فيها إلا أسماء الله عز وجل فأخبر بذلك رسول الله (ص) عمه أبو طالب، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال إن ابن أخي قد أخبرني بخبر عن صحيفتكم ، فان الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها ، إلا ما فيها من

أسماء الله ، أو كما قال ، فأحضروها فإن كان كما قال وإلا أسلمته إليكم ، فأنزلوها ففتحوها فاذا الأمر كما أخبر به رسول الله (ص)، فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ،ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك(1) قال ابن اسحاق (2)فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرًا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .

نقض الصحيفة:

وجاء فى أمر الصحيفة عند ابن كثير أيضاً شئ آخر فى موضع آخر قال ابن اسحاق في الصحيفة التي كتبوها :- قام في نقض الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحداً أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه ، فكان فيما بلغني يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً حتى إذا بلغ فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جبينه، فدخل الشعب عليهم ،ثم يأتي به قد أوقره براً فيفعل به مثل ذلك ،ثم أنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم

1) البداية والنهاية جزء 6 – ص 186 2) البداية والنهاية جزء 3 – ص 90

ولا ينكحون ولا ينكح إليهم أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً ، قال ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها ، قال قد وجدت رجلاً قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثاً فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً قال ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت لك ثانياً قال من ؟ قال أنا قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو؟ قال زهير بن أبي أمية قال أبغنا رابعاً فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال نحو ما قال للمطعم بن عدي فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم قال من هو؟ قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك قال أبغنا خامسًا فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم فتواعدوا حطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا ، غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ،ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام

---

1) البداية والنهاية جزء 3 – ص 96

ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد والله لا تشق ،[1] قال زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم بن عدي صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك قال أبو جهل هذا أمر قد قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون [1].

مناوءة النبى (ص):

كانت قريش كانت تناوئ النبى (ص) وتحاول منعه من الصلاة فى الكعبة فآذوه بصور شتى منها طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي ،وجاءت فاطمة فطرحته عنه، وأقبلت عليهم ،فشتمتهم ثم لما انصرف رسول الله (ص) دعا على سبعة منهم وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكرالصديق قائلاً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ! وكذلك عزم أبي جهل لعنه الله على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك وما أشبه ذلك [2].

---

1) البداية جزء 3 – ص 97 2)البداية والنهاية جزء 3 - ص 135

قريش وسلا الجزور:

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبةجلوس وسلا جزور قريب منه فقالوا من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة ابن أبي معيط أنا فاخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره فقال رسول الله اللهم عليك بهذا الملأ من قريش اللهم عليك بعتبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف أو أمية بن خلف شعبة الشاك قال عبد الله فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القليب غير أبي أو أمية بن خلف فانه كان رجلاً ضخماً فتقطع وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به والصواب أمية بن خلف فانه الذي قتل يوم بدر وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم وأنه (ص) لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما[1] رأوا ذلك سكن عنهم الضحك وخافوا دعوته وأنه (ص) دعا على الملأ منهم جملة وعين في

---

[1]- البداية والنهاية جزء 3 - ص 45

دعانه سبعة وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم وهم عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وأبو جهل بن هشام وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف قال ابن اسحاق ونسيت السابع قلت هو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري قال ابن كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير سألت ابن العاص فقلت أخبرني باشد شيء صنعه المشركون برسول الله (ص) [1]قال بينما النبي (ص) يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي (ص) وقال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الآية تابعه ابن اسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمرو بن العاص وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة انفرد به البخاري وقد رواه في أماكن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو أشبه لرواية عروة عنه وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عروة عن أبيه

1-البداية والنهاية جزء 3 - ص 46

عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله (ص) فيما كانت تظهره من عداوته فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله (ص) فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وصرنا منه على أمر عظيم أو كما قال.

فبينما هم في ذلك طلع رسول الله (ص) فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجه رسول الله (ص) فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشدا فما كنت بجهول فانصرف رسول الله (ص) حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم على ذلك طلع رسول الله (ص) فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله (ص) نعم أنا الذي أقول ذلك ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه وقام أبو بكر ينكى دونه ويقول ويلكم (أتقتلون رجلا يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط .

إيذاء أبا بكر فى الكعبة :

قال ابن اسحاق وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال لقيه يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟[1] فقال أنت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك .

إسلام عمر والكعبة :

قال ابن اسحاق عمن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للإسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها ،وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة ، فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحدًا ، فقلت لو أني جئت فلانًا الخمار لعلي أجد عنده خمرًا فاشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعاً أو سبعين ، قال فجئت المسجد فإذا رسول الله (ص) قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني ، قال فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمد

1) البداية جزء 3 – ص 95

الليلة حتى أسمع ما يقول ، فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لأروعنه ، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله (ص) قائم يصلي يقرأ القرآن ،حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة، قال فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الاسلام، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله (ص) صلاته ، ثم انصرف ،وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية ، قال عمر فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر، أدركته ، فلما سمع حسي عرفني ،فظن أني إنما اتبعته لأوذيه ، فنهمني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال فحمد الله رسول الله (ص)، ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله (ص) بيته .

قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه ، فقال له أعلمت يا جميل اني أسلمت ودخلت في دين[1] محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه ،واتبعه عمر ،واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش ،وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن ابن الخطاب قد صبأ قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه

حتى قامت الشمس على رؤسهم قال وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا ، قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم ، فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبأ عمر قال فمه ؟رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل ، قال فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي- وهذا اسناد جيد قوي [2] وقال ابن اسحاق كان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه.

قلت- والكلام لابن كثير- قال ابن مسعود إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة ،ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

---

1) البداية جزء 3 - ص 82 2) البداية والنهاية جزء 8 - ص 226

قتل ابن الزبير:

كان مقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى المبير قبحه الله وأخزاه سنة سبع وثلاثين قال الواقدى حدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد وكان عالماً بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة ، وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس فى هذه السنة الخارجة وكان فى الحج ابن عمر وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر فى المناسك كما ثبت ذلك فى الصحيحين فلما استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة ، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة، ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج الحبشة فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً كثيراً وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمى من كل مكان وحبس عنهم الميرة والماء فكانوا يشربون من ماء زمزم وجعلت الحجارة تقع فى الكعبة والحجاج يصيح بأصحابه يا أهل الشام الله الله فى الطاعة فكانوا يحملون على ابن زبير حتى يقال إنهم آخذوه فى هذه الشدة فيشد عليهم[1] ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بنى شيبة ثم يكرون عليه فيشد عليهم فعل ذلك مراراً وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول هذا وأنا ابن الحوارى وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم فى الصلح ،فقال والله لو وجدوكم فى جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألهم صلحاً وذكر

غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلوا أصواتها على صوت المنجنيق ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثنى عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول إنى خبير بهذه البلاد هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها وإن القوم، يصيبهم مثل الذى يصيبكم ،وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً فجعل الحجاج يقول ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته ، فتوقف أهل الشام عن الرمى والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته فعادوا إلى المحاصرة [1] وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه أكثر من عشرة آلاف فأمنهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن الزبير فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنهما ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله وأنه لم يبق معه إلا اليسير ولم يبق لهم صبر ساعة والقوم يعطوننى ما شئت من الدنيا فما رأيك فقالت يا بنى أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق

---

1) البداية والنهاية جزء 8 - ص 329

فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ولاتمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بنى أمية وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودكم فى الدنيا القتل أحسن فدنا منها فقبل رأسها وقال هذا والله رأيى ثم قال والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته ولكننى أحببت أن أعلم رأيك فزدتينى بصيرة مع بصيرتى فانظرى يا أماه فاتى مقتول فى يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة قط ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته ولم يكن عندى آثر من رضى ربى عز وجل اللهم إنى لا أقول هذا تزكية لنفسى اللهم أنت أعلم بى منى ومن غيرى ولكنى أقول ذلك تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت أمه إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً إن تقدمتنى أو تقدمتك ففى نفسى اخرج يا بنى حتى أنظر ما يصير إليه أمرك فقال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء قبل وبعد فقالت لا أدعه أبدا لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبى اللهم إنى قد سلمته لأمرك فيه ،ورضيت بما قضيت فقابلنى فى عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين ثم أخذته

---

1) البداية والنهاية جزء 8 - ص 330

إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها وكانت قد أضرت فى آخر عمرها فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت يا بنى ما هذا لباس من يريد من الشهادة فقال يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به فقالت لا يا بنى ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهى تقول شمر ثيابك وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل وجعلت تذكره بأبيه الزبير وجده أبو بكر الصديق وجدته صفية بنت عبد المطلب وخالته عائشة زوج رسول الله (ص) وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيداً ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضى الله عنهما وعن أبيه وأبيها وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون [1] عنه يمينا وشمالا ولا يثبت له أحد وهو يقول :-

إنى إذا أعرف يومى أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير وكان لأهل حمص حصار الباب الذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبة ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بنى جمح ولأهل قنسرين باب بنى سهم وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد وكان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقهم وبدد شملهم وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح لو كان قرنى واحداً كفيته فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً إى والله وألف رجل ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه

أسد ضارى حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلى طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ثم قال: أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير ثم صلى ركعتى الفجر ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم فكشفوا وجوههم وعليهم المعافر فحرضهم وحثهم على القتال والصبر ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته فى وجهه فارتعش لها فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم :-

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضى الله عنه وجاؤا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجداً قبحه الله ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لأنا محاصروه وليس هو فى حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا بل يفضل علينا فى كل موقف فلما بلغ ذلك عبد الملك ضرب طارقاً .

---

1) البداية والنهاية جزء 8 - صفحة 331

وروى ابن عساكر فى ترجمة الحجاج أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله فخطب الحجاج الناس فقال أيها الناس إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازعها أهلها وألحد فى الحرم فأذاق من عذابه الأليم وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير وكان فى الجنة وهى أشرف من مكة فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التى نهى عنها أخرجه الله من الجنة قوموا إلى صلاتكم [1] يرحمكم الله وقيل إنه قال يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير فان ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الدنيا ونازع الخلافة أهلها فخلع طاعة الله وألحد فى حرم الله ولو كانت مكة شيئا يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض وآدم أكرم على الله من ابن الزبير وان ابن الزبير غير كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت والله ان ابن الزبير لم يغير كتاب الله بل كان قواماً به صواماً عاملاً بالحق ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع وبعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ثم يسيروا بها إلى الشام ففعلوا ما أمرهم به وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصى أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير عليهم من الله ما يستحقون ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون يقال منكسة فما زالت مصلوبة حتى مر به عبد الله بن عمر

فقال رحمة الله عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت صواماً قواماً ثم قال أما آن لهذا الراكب أن ينزل فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ولم يزل الحجاج مقيما بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا وهو على مكة واليمامة واليمن .[1]

الكعبة والوليد بن يزيد :

قال الواقدي بويع للوليد بن يزيد بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك وكان عمره إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا فلما ولي هشام أكرم إبن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشر ومائة فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه حتى يقال إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فأحالوا ذلك على الجمال فضرب على ذلك قالوا واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك واستصحب معه الخمور وآلات الملاهي وغير ذلك من المنكرات فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس

1- البداية والنهاية جزء 8 - صفحة 332 2) البداية والنهاية جزء 10 - ص 2

ومن إنكارهم عليه ذلك فلما تحقق عمه منه نهاه مراراً فلم ينته واستمر على حاله القبيح وعلى فعله الرديء فعزم عمه على خلعه من الخلافة وليته فعل وأن يولي بعده مسلمة بن هشام وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء ومن أخواله ومن أهل المدينة ومن غيرهم وليت ذلك تم ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوماً للوليد ويحك والله ما أدري أعلى الأسلام أنت أم لا فإنك لم تدع شيئا من[1]المنكرات إلا أتيته غير متحاش ولا مستتر فكتب إليه الوليد:-

يا أيها السائل عن ديننا ديني على دين أبي شاكر

نشربها صرفا وممزوجة بالسخن أحيانا وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يسمى أبا شاكر وقال له تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أرقيك إلى الخلافة وبعثه على الموسم سنه تسع عشر ومائة فأظهر النسك والوقار وقسم بمكة والمدينة أموالاً فقال مولى لأهل المدينة :-

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

الواهب الجرد بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

ذكر إبن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة فلما بلغ ذلك

---

1) البداية والنهاية جزء 10 - ص 3

جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية غيره من الجماعة فحذر خالد أمير المؤمنين منهم فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عقاباً شديداً ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شر قتله وأسوئها وذلك في محرم سنة ست وعشرين .

محفل عظيم :

سنة360 حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تجمل عظيم حتى كان يضرب المثل بحجها وذلك أنها عملت أربعمائة محمل وكان لا يدري في أيها هي ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين وكست المجاورين بالحرمين كلهم وأنفقت أموالاً جزيلة في ذهابها وإيابها.